

إذاعة بودابست وبيان أول نوفمبر 1954

The radio of Budapest and the proclamation of 1 November 1954.

د. جمال قندل، أستاذ محاضر (أ)

التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة الشلف.

الإيميل: djamel.65kendel@gmail.com

ت.القبول: 04.08.2020	ت.المراجعة: 03.08.2020	ت.الارسال: 27.07.2020
----------------------	------------------------	-----------------------

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى بحث إذاعة بيان أول نوفمبر من طرف مؤسسة إعلامية مسموعة، هي إذاعة بودابست المجرية وتداعيات الموقف التاريخي المتخذ لصالح الثورة الجزائرية، على إدارة الاحتلال الفرنسي وآليات تعاطيها مع الوضع الجديد الذي أفرزته عملية إذاعة البيان خاصة وأنه جاء في سياق متناغم مع إذاعة البيان من طرف إذاعة «صوت العرب» بالقاهرة، الأمر الذي زاد من مخاوف سلطة الاحتلال، التي انتابها الشك من إمكانية حدوث مؤامرة ضدها انضوت في سياق الحرب بين المعسكرين الشرقي والغربي. ولاستجلاء حقيقة دور إذاعة بودابست عدنا إلى بعض المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع على الرغم من قلتها وانتهينا إلى جملة من النتائج، منها، أنّ عدالة القضية الجزائرية وخصوصياتها التاريخية والجغرافية والثقافية وطول الاحتلال وشدة الظلم المسلط على الجزائر، حرك النخب والهيئات والمنظمات على اختلاف ثقافتها ودياناتها وفلسفاتها على التعاطي بصورة تعكس الحضور الانساني لديها.

الكلمات المفتاحية: إذاعة بودابست، تفجير الثورة، بيان أول نوفمبر، رد الفعل الاستعماري

Abstract:

This study aims at examining the investigation or the dissemination of the First November, 1954 Proclamation broadcast by the Hungarian Radio of Budapest after Sawt El Arab (The Arab Voice) in Cairo, Egypt and the impact of this position on the French colonial administration, which doubted the efficiency of an international conspiracy and plot against France due to the fact that it occurred in the context of the Cold War between the two camps; the East and the West. In order to study this matter we deepened our bibliographical research .We have concluded a number of results that we can cite and mention down.

The justness or the rightfulness of the algerian cause ,the historical, geographical and cultural peculiarities ,the intensity of the dominion of Algeria - people and soil since 1830- have stimulated the elites and organizations from different cultures, religions, and philosophies to engage fully in order to reflect the human presence as well as monitoring the leaders and officials of the Algerian revolution regardless of the amount and the form of the solidarity and assistance likely to be provided.

Key words: Breaking out of the revolution, First November Proclamation (Chart), the reaction of colonialism; Budapest Radio.

djamel.65kendel@gmail.com E- mail d'envoi :

مقدمة

لا شك أن الجنوح نحو الخيار المسلح، يؤشر على عمق فهم صنّاع التفجير التاريخي لنوفمبر 1954 واستيعابهم لمعطيات المرحلة التي عاشتها الحركة الوطنية في الداخل، ووعيهم بالمعطى الاقليمي بكل من تونس والمغرب، والذي جسده المقاومة المسلحة ضدّ العدو المشترك، ممثلا في الاحتلال الفرنسي الجاثم على أديم الجزائر، منذ جويلية 1830 دون وجه حقّ، دونما إغفال لعامل ذي أهمية معتبرة قادم من الهند الصينية حيث الانكسار المهول لقوات الاحتلال الفرنسي في معركة ديان بيان فو.

بيد أن ما يلفت الانتباه، أن الثورة لم تكن منظوية على ذاتها، وبعيدة عن العالم الخارجي وما يعجّ به من تطورات وأحداث وما يميزه من رؤى وأفكار وتصورات، فكان لزاما عليها وشعورا منها بأهمية دفعها وتطويرها، أن تُركّز على كافة الفضاءات، بصرف النظر عن طبيعتها وحجمها وكذا أهميتها ومدى قدرتها على التأثير في مجرى الأحداث.

لذلك نشطت حركة الثورة في الخارج، على مستويات مختلفة، إقليمية، جهوية و دولية، باعتماد آليات كثيرة ما فتئت تتنوع، تبعا لتنوع ظرفي الزمان و المكان، من: إعلامية، سياسية، دبلوماسية، ثقافية، قانونية، توخت الخروج من الطوق و الحصار المضروب عليها، من طرف مؤسسات الاحتلال الفرنسي على اختلاف طبيعتها و التقرب أكثر من مختلف الحياة و المؤسسات التي تخدم أهداف الثورة و تعزز طرحها و تعمق موقعها، وضمن هذا السياق، تنضوي إذاعة بودابست المجرية التي وقفت موقفا جريئا مع الثورة الجزائرية . حيث تستوقفنا جملة من التساؤلات تشكل مجتمعة الإشكالية التي تنبني عليها الدراسة، وهي : ما السياق التاريخي الذي تعاطت فيه إذاعة بودابست على نحو إيجابي مع الثورة الجزائرية ؟ وما موقف إدارة الاحتلال الفرنسي من الإذاعة المجرية؟ وما البدائل الإعلامية التي اعتمدتها الثورة ضمن استراتيجيتها العامة الرامية إلى التوسع والتطور وتعميق التموقع في الداخل كما في المجتمع الدولي على حد سواء؟

نتوخى من دراستنا هذه، الوقوف على الأهمية التي شكلها الإعلام المسموع بالنسبة للثورة و الشعب وخاصة غير العربي منه، على اعتبار أن الإعلام العربي، بدءا من إذاعة صوت العرب كان دوره جليا و واضحا منذ البداية، فيما تبقى صورة الإعلام الآخر غير العربي، غير واضحة و بحاجة إلى بحث واستقصاء . كما يهدف العمل البحثي في الآن ذاته، إلى إبراز حالة الارتباك التي كانت عليها إدارة الاحتلال الفرنسي بسبب التعاطي الإعلامي الايجابي مع الثورة، من طرف وسيط إعلامي من دول أوروبا الشرقية والتخوف الكبير من تداعيات ذلك على المعسكر الشرقي للتداعي مع معطى القضية الجزائرية، على نحو كفيل بالتقليص من الفرص أمام الاحتلال الفرنسي بالاستمرار في سياسة تغليب الرأي العام الدولي، شرقيه وغريبه.

ولإجابة على تلك التساؤلات، اعتمدت المنهج التاريخي في عرض الوقائع التاريخية عرضا راعى التسلسل الزمني والموضوعي فضلا عن المنهج الوصفي في وصف تلك الوقائع على نحو موضوعي بعيدا عما يחדش البحث

عن الحقيقة التاريخية بالاعتماد على تحليل الوقائع في ضوء المعطيات المتاحة من خلال جملة المصادر و المراجع التي أمكنني توظيفها .وللإشارة، فإن الموضوع المبحوث يتسم بالجدّة، حيث يفتقر للدراسات الأكاديمية السابقة التي يمكن أن تُسهل مهمة الباحث، إذ وقفت على مقال واحد مشترك فقط، لباحثين مجريين نشره في مجلة "المصادر" ، ما عمّق الرغبة لدي في خوض غمار البحث فيه أملاً في استجلاء حقيقة هذه الجزئية لتكون منطلقاً لأبحاث ودراسات أخرى أكثر عمقاً.

1. قرية إيجيل إيمولا وبيان أوّل نوفمبر

بعد أن فرغ القادة الستة من الاجتماع الأخير، الذي عقد بالرايس حميدو، في 23 أكتوبر 1954 (الجودي، (د.ت:345) والذي اتخذ فيه امران رئيسان، تعلق الأوّل بتحديد تاريخ اندلاع الثورة ليلة الفاتح نوفمبر 1954 فيما تعلق الثاني بتسمية الجهازين، السياسي بجهة التحرير الوطني والعسكري بجيش التحرير الوطني. وحول هذه الفكرة، ذهب محمد بوضياف إلى القول: "... وأخيراً قررنا التنظيم السياسي بجهة التحرير الوطني والتنظيم العسكري، جيش التحرير الوطني... »(بوضياف، 1995:26).

عُهد بمهمة سحب البيان، إلى المنطقة الثالثة التي قدمت ضمانات كافية، تتعلق أساساً بقدراتها التنظيمية والانضباطية، فضلاً عن توفرها على الجهاز الخاص بالاستنساخ. وهو ما أهلها للظفر بهذا الإنجاز التاريخي. ولتحقيق ذلك، ضُبِطت الأمور، ضبطاً شاملاً ودقيقاً، حتى تُنجز المهمة على نحو سليم، وفي الوقت المحدد. انتدب بوضياف وديدوش من قبل "لجنة الستة" لوضع الصياغة النهائية لبيان إعلان الثورة، بعد وضع خطوطه العريضة في اجتماع 10 أكتوبر 1954 الذي انعقد بالمرداية. وقد اجتمع الاثنان لهذا الغرض بالصحفي المناضل محمد العيشاوي في محلّ الخياطة لعيسى كشيدة بممر "مالكوف" في القصبة السفلى، وأمليا عليه ما تم الاتفاق حوله في "لجنة الستة" مستعينين في ذلك بمرجعية سياسية وايدولوجية محددة: لوائح المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد بالعاصمة في أبريل 1953. (عباس، 2009:1) وبعد الانتهاء من صياغة البيان ومراجعته انتدب العيشاوي لمواصلة المهمة، برقنه وسحبه بقرية إيجيل إيمولا ولاية تيزي وزو، تحت إشراف مسؤول المنطقة الرابعة رايح بيطاط(عباس، 2009:1). وتولى هذا الأخير تقديم العيشاوي إلى عمار أو عمران نائب قائد المنطقة الثالثة الذي اصططحبه من مقهى المناضل أحمد زهوان ببلكور إلى تيزي وزو وهناك تكفل به المناضل علي زعموم الذي رافقه إلى القرية المذكورة، وساعده على استكمال مهمته التاريخية في سرية تامة. (عباس، 2009:1). وتمثلت في الرقن على الستانسيل، والسحب وقراءة البيان تجنبا لأي خطأ قد يُقرأ على غير حقيقته، ودرءاً لأي غموض أو لبس. وفي قرية إيجيل إيمولا، تمت العملية في مسكنين مختلفين. حيث أنه في المسكن التابع لبن رمضاني عمر، أعدّ نص البيان على الستانسيل، ثم انتقلوا إلى بيت رايح إيدير لإجراء عملية السحب. (ZAMMOUM,2005:49)

ولتفويت الفرصة على مؤسسات الاحتلال الأمنية التي ما فتئت تتحرك على مستوى تلك المنطقة وكذا أعوان الاحتلال، من مخبرين ومن سار في فلكتهم، اهتمت قادة المنطقة إلى فكرة تعكس الدرجة العالية للحسّ الأمني،

الذي كانوا عليه إدراكا منهم للخطورة الكبيرة التي تحيط بالعملية حيث أنه نُظمت مسابقة احتضنها دكان رابح إيدير، الواقع في الطابق السفلي وأعطيت الأوامر للمناضلين بضرورة السمر وإطلاق العنان للحديث بصوت مرتفع، فضلا عن القهقهة، على اعتبار أنه يوم فرح ومسابقة وذلك حتى لا يثتبه إلى الصوت الذي تحدثه آلة السحب. حيث يشرف محمد العيشاوي وعلى زعموم على العملية في الطابق العلوي.

والجدير بالملاحظة، في هذا السياق، هو السلوك الانضباطي أو بالأحرى نجاح وفعالية التربية القاعدية التي كان عليها المناضلون الذين التزموا أمر القيادة، دون أن يحركوا ألسنتهم بالسؤال. وقد تم سحب ما بين 450 إلى 500 نسخة من البيان. وفي الصباح الباكر، عُبِّت النسخ في الأكياس وحُمِلت، لتوزع على كامل التراب الجزائري (ZAMMOUM، 2005:49)

يعتبر بيان أول نوفمبر 1954، أول وثيقة إعلامية تصدرها الثورة. وفُضلا عن ذلك فقد كانت الأهمّ ضمن وثائق الثورة التي ظهرت تباعا، طوال فترة. وقد توخى صنّاع أول نوفمبر من خلالها تحقيق اتصالات رئيسين، تمثل الأول في الداخل الذي يشكل ذلك الكل، من الهيئات والمنظمات السياسية وغير السياسية والمناضلين وكافة أفراد الشعب الجزائري، عبر مختلف مناطق الجزائر، حتى يدركوا حقيقة المنظمة الجديدة التي كانت وراء تفجير الثورة، فضلا عن شرح وتفصيل الأهداف المتوخاة من العمل المسلح.

وكذا المفاوضات وطرق إنجازه، فيما تمثل الثاني في الخارج، ممثلا في الرأي العام الدولي والذي تم إعلامه عن طريق مختلف وسائل الإعلام، من إذاعات ووكالات الأنباء، وصحف باللغتين العربية والفرنسية، (الزيري، 1986:44) حتى تصل الرسالة إلى المتلقي على نحو جيّد. وقد حرصت الثورة على توزيعه على نطاق واسع، في الداخل والخارج. حيث تولى المناضلون عملية توزيعه بحذر كبير، نظرا للخطورة التي تعترض تلك العملية، وتجنباً لأي مشكل يعيق السير الحسن للعملية، فقد كان التوزيع على النحو التالي:

- 1- يوزع في وقت واحد، وفي الغالب في الأوقات التي تعرف الشوارع ازدحاما كبيرا بالمارة في منتصف النهار، أو السادسة مساء، عند خروج العمال من مواقع عملهم.
- 2- توزيع ما بين السابعة والعاشرة ليلا، ولكن بحذر شديد.
- 3- توزيعه ليلا، عندما تنقلص فعالية رقابة المحبرين ورجال الشرطة باستعمال صناديق البريد، أو إدخاله تحت الباب. (بومالي، 2010:252).

2. السياق التاريخي لإذاعة بودابست:

إلى جانب إذاعة صوت العرب، التي سجلت حضورها الفعلي منذ اللحظة الأولى لتفجير الثورة بإذاعتها بيان أول نوفمبر، الذي تلاه السيد أحمد بن بلة، مترجما من اللغة الفرنسية استجابة لرسالة السيد محمد بوضياف، المؤرخة في 29 أكتوبر 1954 إلى الوفد الخارجي في القاهرة والذي دعاه من خلالها إلى: "... قوموا بما هو ضروري - بواسطة واحد منكم - في صوت العرب. والأفضل هو قراءة النداء وإلا وجهوا نداء من عندكم، واذكروا فقرات من ندائنا، وسيكون مساء الإثنين، أنسب وقت، وسيكون بالنسبة لرجالنا دعما مؤكدا لعملهم..." (بلحسين، 2004:82).

¹ وقد تلا عملية إذاعة البيان، بلاغات، نداءات ومداخلات متفرقة، صبّت كلها في شحذ همم الجزائريين و تقوية إراداتهم و عزيمتهم والشّدّ على أيدي المجاهدين ليصبروا ويصابروا.

في هذا الوقت بالذات، كانت هناك إذاعة أخرى، تذيع الأخبار باللغة العربية، والفرنسية انطلاقاً من بودابست، عاصمة المجر، باتجاه المغرب العربي (LASZLO، 2006:9). وقد أذاعت نبأ تفجير الثورة وتابعت العمليات العسكرية وردود الفعل عليها، مثلما غطّتها الصحف المجرية. لكن ما لم يُرض إدارة الاحتلال الفرنسي، هو أن تنتصب إذاعة من أوروبا، حتى وإن كانت تنتمي إلى قطب آخر غير القطب الذي تنتمي إليه فرنسا الاستعمارية، للتضامن مع القضية الجزائرية.

وفي الثامن نوفمبر 1954، خلال أشغال الجمعية الوطنية الفرنسية، اعتقد بعض النواب الفرنسيين خطأ أنهم اهتدوا سبيلاً من خلال ارتكازهم على معطين خارجيين رئيسيين يتمثل الأول في إذاعة صوت العرب بالقاهرة، فيما يتمثل الثاني بإذاعة بودابست بالمجر (LASZLO، 2006:9). وهو ما عزّز لديهم الاعتقاد أن الثورة في الجزائر، من تحريك قوى خارجية وجدت عناصر في الداخل مستعدة للتجاوب الإيجابي مع أهدافها، لضرب الأمن والاستقرار. وانطلاقاً من ذلك، راحوا يهاجمون هاتين الإذاعتين ويكيلون لهما التهم غير المؤسسة ويضغطون عليهما بشق الطرق، حتى توقف البث الإذاعي الذي لمسوا تأثيره الإيجابي في الميدان.

وحول المحور ذاته، أشار وزير الداخلية الفرنسي فرانسوا ميران، في مداخلة له أمام لجنة الداخلية بالجمعية الوطنية الفرنسية، بقوله: "بعض البرامج الآتية من بودابست"². وتوالت تصريحات السياسيين الفرنسيين الذين ذهلوا لما نزل بهم، حيث ما حلّوا، وفي مختلف المناسبات في محاولة لشحذ الرأي العام الفرنسي، بل وحتى الدولي، وبخاصة الرأسمالي، ليلتف حول فرنسا لمواساتها في محنتها الداخلية التي ألمت بها، وهو ما عبّر عنه رئيس الحكومة الفرنسي، مانديس فرانس، من واشنطن بنادي الصحافة الوطنية، حين ذهب يقول: "إن الحدث الذي لا تجهلونه دون شك، أن هناك دعاية منظمة مصدرها إذاعتا بودابست و القاهرة، بمعنى أنهما من مدينتين تابعتين واحدة إلى العالم الشيوعي، والأخرى إلى العالم العربي، تحرضان يوماً بعد يوم، شعوب إفريقيا الشمالية على العنف"³.

والجدير بالإشارة، أن إذاعة بودابست وجدت قبل اندلاع ثورة نوفمبر 1954، إذ تعود جذورها إلى بداية سنة 1950، وقد لعبت دوراً كبيراً وقتئذ في الترويج للشيوعية من خلال التركيز على نجاحات الاتحاد السوفييتي في البناء الاشتراكي، ومطارحة أفكار الرأسمالية من خلال البرامج الحوارية، وباندلاع الثورة، وجدت الفرصة مناسبة للاستمرار في نضالها، من خلال فسخ المجال للثورة لتعلن عن مبادئها وحقائقها، وتشحذ الرأي العالمي حول عدالة قضيتها من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الإذاعة المجرية واصلت حملتها ضد المعسكر الرأسمالي، بالعمل على تقويضه من خلال الإعلام المتشبع بالأفكار الثورية.

¹ للإستزادة على نحو مفصّل، ينظر: شهادة العقيد طاهر زير، جريدة الخبر، عدد 6697، ليوم 26 أفرى 2012، ص 23.

² Le Monde du 06 novembre 1954.

³ Le Monde du 21-22 novembre 1954.

وهكذا برأيي تكون الغايتان قد اتحدتا على ضرب عدو واحد. وبخصوص البرنامج الخاص بالثورة الجزائرية، فقد كان يذاع تحت عنوان " صوت الاستقلال الوطني والسلام "، والشيء ذاته بالنسبة لقضيتي تونس والمغرب، باعتبار أنهما لازالتا تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي تتن منه الجزائر (LASZLO، 2006:9). وفيما يخص الحجم الساعي لعملية البث الإذاعي فإنه كان على امتداد ثلاث مرات في اليوم، لمدة ساعة ونصف لكل حصة. وقد كانت على التوالي: في الصباح من الساعة السابعة إلى الساعة والنصف، وفي المساء من الساعة السادسة إلى الساعة والنصف. أما في الليل، فينطلق البث ابتداء من الحادية عشر والنصف إلى غاية الثانية عشر ليلا (LASZLO، 2006:9)،

3. صدى إذاعة البيان من بودابست:

كان لعملية إذاعة بيان أول نوفمبر 1954 صدى كبير، تجلّى من خلال اتصال المستمعين، اتصالا مباشرا بالإذاعة، حول الحصة أو عن طريق البريد، نظرا لقيمة وأهمية الأخبار التي كانت تذيعها. حيث وجد فيها المستمعون في المغرب العربي أو في المشرق، مصدرا إعلاميا ذا قيمة كبيرة، استطاع أن يجد لنفسه حيزا إعلاميا معتبرا وسط كثير من الوسائط الإعلامية. حيث باتت كثير من الشعوب تتوق إلى استقاء الخبر ذي الصلة بموضوع الجزائر، في غير المصادر الفرنسية، لافتقادها عنصر الثقة والمصداقية، خاصة وأنّ الامر يتعلق بدولة احتلال استيطاني فرض على الجزائر دون وجه حقّ، وعضو بارز في الحلف الأطلسي، حظيت بمختلف أشكال الدعم، في حربها على الشعب الجزائري.

ولعلّ من الالتفاتات التي يسوغ الوقوف عندها، هو مراسلة السيد حسين آيت أحمد إذاعة بودابست وشكره للقائمين عليها (LASZLO، 2006:9)، نظير ما يقدمونه للمستمعين في أصقاع العالم من مادة إعلامية متنوعة حول الثورة الجزائرية. وهو مؤشر على أن مسؤولي وقادة الثورة كانوا دائمي الحرص على متابعة كل حدث، بصرف النظر عن طبيعته، يخدم الثورة بطريق مباشر أو غير مباشر والسعي إلى تثمينه وتأييده والشّد على أيدي أصحابه. رغبة في استمراره أمدا طويلا باعتبار أن عملية التحرير تتطلب إمكانات كبيرة وطاقات كثيرة ومتنوعة.

وقد كان للبرنامج فريق تحرير، قائم على جمع المادة الإعلامية التي تأتيه مباشرة من مديرية الحزب الشيوعي الفرنسي، عن طريق سفارة المحرر بباريس. وفور وصولها تتم ترجمتها ليلا لتذاع في وقتها المناسب، باللغة العربية الدارجة. وهكذا واصلت الإذاعة عملها ونشاطها، وسط تدمير الساسة الفرنسيين وسخطهم عليها، إدراكا منهم للخطر الكبير الذي بات يتهدهدهم من إذاعي صوت العرب وبودابست. بيد أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي يراقبون عن كثب التطور النوعي اليومي للصوت الإعلامي الثوري، وهو يفتح فضاءات مغلقة، أغلقتها الدعاية الاستعمارية المضللة.

4. الضغط الفرنسي على إذاعة بودابست ونتائجه:

نظرت الحكومة الفرنسية في قضية إذاعة بودابست، ولاحظت نتائجها الإيجابية في الميدان، وهو ما بات يقلقها كثيرا، لذا فكرت في إيجاد الطريقة المناسبة لتطويق الإذاعة وإبعاد الخطر بشكل نهائي. غير أن الحكومة لم تتخذ أي إجراءات احتجاجية لدى سلطات بودابست، إلا بعد تفجير ثورة نوفمبر 1954، حيث رأت أن الأمر ازداد خطورة، حيث زار الوزير الفرنسي جون دولادود العاصمة بودابست، وأعلن احتجاج الحكومة الفرنسية بشكل رسمي على البرامج المذاعة، لكنه تبين له أن الأمر يعتبر غير ذي جدوى، نظرا لافتقار فرنسا لأدوات الضغط الكفيلة بتحقيق نتائج حقيقية ولملموسة (LASZLO، 2006:9) بالنظر إلى الدعم الكبير الذي تحظى به حكومة بودابست من طرف الاتحاد السوفيتي، فكل خطوة ينبغي أن يقرأ حسابها قبل وبعد.

وعلى هذا الأساس، عدلت عن الفكرة أصلا، وراحت تتحين الفرص إلى أن اهتدت إلى فكرة اقتراحها جون دولادود على مانديس فرانس، الذي لم يتردد في قبولها. حيث تمثلت الفكرة في توقيف منح الفيزا لرعايا بودابست المتوجهين إلى إفريقيا الشمالية، وخلال زيارة دولادود إلى بودابست في 4 فيفري 1955، أعلنت الإذاعة الفرنسية نبأ الزيارة، ونقلت تصريحاً لوزيرها من بودابست والذي جاء فيه على الخصوص: "لقد استقبلت هذا الصباح من طرف نائب وزير الشؤون الخارجية وأعربت له عن عميق معارضتنا للبرامج التي تبثها إذاعة المجر باللغة العربية. حيث أن بعضها يقدح في الحكومة الفرنسية وإدارة شمال إفريقيا محرضين السكان على العنف والتمرد. وهو ما يشكل تدخلا غير مقبول في شؤوننا الداخلية... لذا فإنه من الأحسن، وفي مصلحة العلاقات الجيدة بين بلدينا، توقف هذه البرامج" (LASZLO، 2006:9).

وعلى إثر ذلك، وعد وزير الداخلية المجري بالنظر في المسألة. ولم تمر أيام قليلة على ذلك حتى حقت مفردات الخطاب الإعلامي، ولكن ما لبثت وأن عادت إلى ما كانت عليه، وظلت الضغوطات الفرنسية إلى غاية 6 أكتوبر 1955، حيث كلف المكتب السياسي للحزب الشيوعي المجري عضوا من أعضائه لتقديم اقتراح يقضي بتوقيف بث البرنامج عبر إذاعة بودابست، بعد استشارة الحزب الشيوعي الفرنسي والذي لم يتردد في القبول وبذلك أطفئت شمع إذاعة بودابست في 26 أكتوبر 1955.

وقد كان ذلك منتظرا، وما التماطل الذي حصل، والمدّ والجزر اللذان كانا يطبعان سير علاقة البلدين بخصوص إذاعة بودابست، إلا أمرا محسوبا بدقة، وفق حسابات سياسية، بدت معالمها في صفقة سرية بين الدولتين، فرنسا والمجر. حيث ساندت فرنسا باعتبارها عضوا دائما في مجلس الأمن، وهو ما يعطيها ثقلا دوليا، سخرته في تأييد ومساندة طلب المجر العضوية في هيئة الأمم المتحدة، في شهر ديسمبر 1955 (LASZLO، 2006:9)

5. البدائل الإعلامية واستمرار الخطاب الإعلامي الثوري

لم تركز الثورة الجزائرية على إذاعة واحدة فقط، إدراكا منها لأهمية الرسالة الإعلامية ودور الخطاب الإعلامي الثوري في شحذ الهمم وتقوية العزائم للمجاهدين في الداخل، الذين كانوا في مواجهات دموية مع قوات الاحتلال

الفرنسي على امتداد مناطق الجزائر، كما أن دورها لم يكن غائبا ولا خافيا بالنسبة للشعب الجزائري الممول والممون والداعي والحاضن للثورة، رغم الصعوبات الأمنية الكثيرة والإجراءات القمعية المختلفة، فضلا عن صنوف التعذيب التي ما فتئت تسلط على الكثير من المدنيين، حتى ينفذوا من حول الثورة. لذلك فإن توقيف إذاعة بودابست، لم يقف قطّ حائلا دون توسع نطاق المجال الإعلامي الثوري وتطور خطابه وتنوع آلياته، خاصة بعد إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 الذي فتح المجال واسعا للطلبة للانخراط في العمل الثوري على اختلاف صوره وأشكاله. وقد شدّ الإعلام اهتمام الكثير من الطلبة الذين أبدوا رغبة و استعدادا كبيرين للانضمام إليه، وهو ما أكدّه المجاهد الإعلامي عبد القادر نور، الذي قال بخصوص ذلك: "خمسة وتسعون في المائة من الطلبة اختاروا الإعلام حيث عملوا كمحررين ومذيعين" (نور، 2007:10) و غداة تفجير الثورة، أذاعت "صوت العرب" بيان أول نوفمبر عبر أمواجها (الصغير، 2009:158)، فكانت بذلك مصر سبابة إلى إعلان تفجير الثورة في الجزائر، ما جعل الإذاعة تغدو مصدر خبر مختلف وسائل الإعلام، على اختلاف جنسياتها ولغاتها، و التي باتت تتردد على القاهرة، خاصة بعد أن علمت أن وفد الثورة الخارجي يقيم في القاهرة، التي أصبحت محطّ أنظار العالم. حيث طفق وفد الثورة ينشط من خلال الندوات واللقاءات ليعرف بالجديد عن الثورة، وليجيب على أسئلة الصحفيين. كما انبرت إذاعة "صوت العرب" تدافع عن القضية الجزائرية وتبعث الحماس في نفوس المستمعين والمتابعين لبرامجها، ذلك أنها كانت توجه خطابها إلى الشعب الجزائري، ليلتف حول ثورته الفتية، ولا يصغي لادعاءات الاستعمار وإشاعاته التي ترنو تشويه الثورة والثوار، والرفع من معنويات قواته، حتى تظل على أهبة واستعداد دائمين لمواجهة مجاهدي جيش التحرير الوطني.

وللإشارة فإن سكان الشمال الإفريقي كانوا يجدون سهولة في التقاط أمواج إذاعة "صوت العرب" (ELSENHANS، 2001:81) ما جعلهم ينتظرون بشوق ويتطلعون بحرقه لسماع أخبار الثورة الجزائرية. وبالنظر إلى الخطورة التي باتت تشكلها الإذاعة من حيث كونها أصبحت تعمل على تعبئة السكان حول القضية الأمّ ممثلة بالثورة، ما حدا بسلطات الاحتلال إلى السعي باتجاه التشويش عليها (ELSENHANS، 2001:81) حتى لا يصل البث إلى المستمعين ومن ثم تنقطع السبل بالرسالة الإعلامية الثورية التي تؤدّيها الإذاعة، بيد أنها استطاعت أن تفوت الفرصة على الحكومة الفرنسية التي عجزت عن إسكات الصوت الثوري المنبعث من عمق القاهرة، و الحامل للقضية الجزائرية بصدق و قوة وعزم، خاصة و أن الصدمة كانت كبيرة جدا، بالنظر إلى عامل المفاجأة⁴

⁴ حول عامل المفاجأة الذي طبع الحركة الثورية في الجزائر، في الفاتح نوفمبر 1954 وتداعياته على سلطات الاحتلال الفرنسي، ذهب فتحي الديب إلى القول: «». وجدت السلطة الاستعمارية نفسها في موقف من الشلل والجمود، لا تحسد عليه وعجزت عن مواجهة حملة السخط التي صدها الشعب الفرنسي عليها وعلى الحكومة الفرنسية أيضا. وقضى اندلاع الثورة على كل آمال الحكومة الفرنسية التي كانت تعتقد أن سيطرتها على الجزائر، التي تقع في القلب من الشمال الإفريقي سيمكنها من توجيه قواتها لضرب حركتي المقاومة الشعبية في كل من تونس ومراكش من قاعدتها الآمنة في الجزائر. ومن ثم كان أسبوع المفاجأة أعمق تأثيرا ومثارا لقلق كبير قلب ميزان القوى بما حمله في طياته من أخطار حسام على مصالح السلطة الفرنسية وطبقة المستوطنين الذين اتخذوا من ثروات الشمال الإفريقي مرتعا لسيطرتهم واستغلالهم. " أنظر: فتحي الديب، جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، مصر، 1984، ص 53.

الذي قلب الموازين وأخلط حسابات الحكومة الفرنسية التي كانت مطمئنة إلى عدم جنوح الجزائر إلى الخيار المسلح، انطلاقاً من الواقع السياسي للحركة الوطنية الذي أبان عن كل شيء إلا عن السير باتجاه الفعل الثوري. غير أن الدوائر الفرنسية السياسية والعسكرية، لم تكن راضية قطّ على الأداء المصري الرسمي، الذي رأت فيه تعدياً صارخاً على ما تسميه سلطات الاحتلال «شأننا داخلياً» وتدخلت غير مقبول البتة يتعارض والأعراف الدبلوماسية. وعلى هذا الأساس، غير المؤسس سوى على تزوير الحقائق وتزييف الوعي حتى تنطلي على الرأي العام العالمي، حقائق التاريخ ومعطيات الجغرافيا، التي لا تؤكد إلا حقيقة واحدة ووحيدة، وهي أن الجزائر دولة ذات سيادة وقع عليها العدوان الفرنسي العام 1830 وما انجرّ عنه من احتلال استيطاني عمّر بقوة القمع والإرهاب، أمداً بعيداً. وما الثورة التي فُجرت اليوم في الجزائر، إلا أداة من الأدوات التي تكفلها مختلف الشرائع وكذا القانون الدولي الإنساني، للتحرر من الاستعمار.

وقد انبرت في هذا الصدد، وسائل إعلام الاحتلال الفرنسي، وبخاصة «صدى الجزائر»، «البرقية اليومية الجزائرية» و «صدى وهران»، تنافح عن «الجزائر الفرنسية» وتصر وتؤكد ضرورة قطع دابر العنف الثوري في الجزائر، من خلال ضرب مصر التي تقف وراء الفعل الثوري في الجزائري، ولم تكن وحدها في الميدان، لمواجهة المد الثوري، بل تناغم موقفها مع موقف السياسيين والنيابيين وغيرهم من نخب المجتمع المدني، الذين تداعوا إلى ضرورة تشكيل جبهة واسعة لمواجهة الثورة (قندل، 2015: 152-192).

غير أن أسلوب التهديد وخطاب الوعيد، لم يثن القيادة السياسية المصرية وعلى رأسها جمال عبد الناصر عن مواصلة دعمه للقضية الجزائرية عبر مختلف المنابر المتاحة والممكنة في الداخل كما في الخارج، والسعي إلى الدفع بها باتجاه التدويل. وفي سياق الحملة على مصر، ذكر فتحي الديب أن الملحق العسكري بالسفارة المصرية في باريس، أرسل خطاباً إلى الرئيس عبد الناصر ضمنه جملة من العناصر والتي كانت فيما يبدو خلاصة لقاء مع المسؤولين الفرنسيين، حيث كان التركيز على ضرورة أن تقرّ الحكومة المصرية الموقف قراءة موضوعية تأخذ بعين الاعتبار مصلحتها ابتداءً وانتهاءً. حتى لا تنساق وراء عمل لا يفضي إلا للفشل الذريع. وقد جاءت عناصر الخطاب وفق الآتي: (الديب، 1984: 114).

أ- دور مصر في دعم الكفاح المسلح في شمال إفريقيا وما سيترتب عليه من قيام الحكومة الفرنسية باتخاذ معاد، عنيف ضد مصر، استجابة لمطالب الأحزاب السياسية الفرنسية والهيئات الاقتصادية.

ب- التلويح بمقاطعة فرنسا لشراء القطن المصري، وخسارة مصر لخمسة عشر مليوناً استرلينياً.

ت- نجاح فرنسا في تهدئة الموقف بتونس ومراكش، بعد منحهما الاستقلال وانتظار تركيز جهود فرنسا ضد ثورة الجزائر، وقدرة فرنسا لتوجيه ضربة قوية والقضاء على الكفاح المسلح مما سيوقع مصر في موقف محفوف بالمخاطر.

ث- نجاح فرنسا في اكتساب مساندة أمريكا وبريطانيا مما يحمل في طياته امكانية استعانتها بإمكانيات البلدين، عسكرياً وسياسياً للتأثير على الرأي العام الغربي وتزويد فرنسا بالأسلحة الحديثة.

ج- العبء الكبير الذي تتحمله ثورة مصر لتزويد الثورة الجزائرية بالسلح والذو يفوق قدرتها مع رجحان كفة السلطات الفرنسية باستمرار، إذا ما قورنت بإمكانيات مصر، خاصة دعم أمريكا وبريطانيا.

ح- اتهام أجهزة الإعلام الفرنسية لثورة مصر وقادتها بالقتل والسعي لإراقة دماء الشعب الفرنسي، سعيًا وراء سيطرة مصر على شمال إفريقيا وعلى حساب المصالح الفرنسية وتأثر الرأي العام الفرنسي بهذه الدعاية وامتداد تأثيرها ليشمل غالبية الرأي العام الأوروبي.

خ- أهمية تجنب الصدام المباشر مع الحكومة فرنسا، لتفادي انسياقها وراء الرأي المطالب بضرورة دعم إسرائيل عسكريًا وسياسيًا في مواجهة موقف القاهرة المعادي للشعب الفرنسي (الديب، 1984: 114).

ويبدو أن خطاب الملحق العسكري، جاء حافلاً بكثير من المغالطات التي لا يؤكد الواقع الميداني في جزائر الثورة، ونسوق في هذا الصدد معطى واحداً لا غير، أخاله كفيلاً بتبديد تلك الأوهام والتي يبدو أن الملحق العسكري عكاشة، كان يجهلها وهي أن السلطات الفرنسية كانت قد باشرت اتصالات ثنائية سرية، مثلها عن الطرف الفرنسي سفير فرنسا بمصر "بيجارا"، فيما مثل السيد محمد خيضر، جبهة التحرير الوطني القائدة للكفاح المسلح في الجزائر. ومن ثم فقد توخى الخطاب، من حيث لا يدري كاتبه، تثبيط مصر عن الاستمرار في خطها الداعم والمساند لقضايا التحرر وبخاصة العربية منها بالدرجة الأولى. بيد أن الرئيس عبد الناصر وبعد استماعه لتحليل فتحي الديب، ذهب يؤكد: "الاستمرار في دعم الكفاح المسلح الجزائري، بكل طاقتنا وقدراتنا المتاحة مهما كانت التضحيات التي يتحملها الشعب الجزائري، ونتحملها نحن معه كشعب مصر. وهذا حقه علينا كثورة تحررية رائدة في الوطن العربي، قامت لا لتحرر أرض مصر وحدها بل لتحرر كل الأرض العربية" (الديب، 1984: 114).

و في إطار السعي المستمر و الدائم، بهدف إقناع مصر و ثنيها عن رفع يدها عن الثورة الجزائرية، بصورة تمكن سلطات الاحتلال الفرنسي من ممارسة قمعها و تسليط إرهابها على الشعب الجزائري، على امتداد مناطق الجزائر، وبخاصة بعد إقرار حالة الطوارئ التي أوجدت المُسوغ القانوني الذي تختفي وراءه و تتذرع به في ممارساتها الإجرامية، زار وزير الخارجية الفرنسي، مصر و التقى الرئيس جمال عبد الناصر، ليدرس معه سبل بحث القضية الجزائرية، وقد فهم الرئيس ما يرمي إليه، فكان جوابه صريحاً لا لبس فيه، "أنني غير مسؤول عن هذه الثورة وعليك أن تعلم أن الجزائريين هم أصحاب القضية، وأن مسؤولية مصر تنحصر في تأييدها لإخوانها الجزائريين" (سعدوني، 2009/2008: 59).

وعلى غرار إذاعة "صوت العرب"، انشأت الثورة إذاعتها المستقلة بعد مؤتمر الصومام، حيث ظهرت "إذاعة الجزائر الحرة المكافحة" يوم 16 ديسمبر 1956 (ABDEDAIM، 2009: 121). وقد اختيرت تسميتها بالإجماع إثر اجتماع في مكتب المسؤول بشرق المغرب عبد القادر معاشو، حضره كل من السادة: عبد الحفيظ بوصوف، هوارى بومدين، السنوسي صدار، وكذا المحررون والمذيعون. وقد ترأس الاجتماع، القائد عبد الحفيظ بوصوف، وتناول الاجتماع نقطة واحدة فقط، هي انطلاق البث (صدار، 2003: 55).

وقد شهدت سنة 1956 انطلاق بث ست إذاعات باللغة العربية وواحدة باللغة الفرنسية، ما يؤشر على عمق الرغبة لدى قيادة الثورة في تطوير الخطاب الإعلامي وتوسيع نطاق بثه بتطوير موجات البث، وتمثلت تلك الإذاعات في الآتي:

1. إذاعة جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني بالحدود الجزائرية المغربية.
2. إذاعة تطوان بالمغرب الأقصى.
3. صوت الجزائر من تونس.
4. صوت الجمهورية الجزائرية من صوت العرب بالقاهرة.
5. صوت الجزائر من الرباط.
6. صوت الجزائر من طنجة.
7. صوت الجزائر بالفرنسية، من البرنامج الدولي بإذاعة القاهرة. (نور، 10:2007). ولم تكتف الثورة بذلك فحسب، بل تعدته إلى إنشاء المكاتب الإعلامية على امتداد الدول العربية، مشرقا و مغربا، فضلا عن الدول الإسلامية و الدول الأوروبية الغربية و الشرقية على حد سواء، وكذا إفريقيا و أمريكا اللاتينية. وقد ساعد هذا العمل الإعلامي الهيكلي الثورة الجزائرية كثيرا في تهيئة الأرضية فيما بعد عند تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة في 19 سبتمبر 1958. ولعلّ مكتب نيويورك الذي أنشأته الثورة الجزائرية سنة 1956 يعتبر أهمّ المكاتب الإعلامية، بسبب موقعه الحيوي والاستراتيجي في نيويورك، حيث مقر الأمم المتحدة ومختلف الوكالات العالمية للأنباء. (قندل، 2015: 226)

انتهينا من خلال دراستنا لموضوع إذاعة بودابست كوسيط إعلامي مسموع، بادر منذ اللحظة الأولى إلى التعاطي على نحو إيجابي مع التفجير التاريخي لثورة أول نوفمبر 1954، بصورة أثّرت على أنّ الرغبة في التحرر من نير الاحتلال و العيش في ظلّ الحرية و الاستقلال، فطرة سليمة تتناغم معها الإرادات الحرة و الواعية عبر الزمان و المكان. لذلك فإنّ عدالة القضية الجزائرية و خصوصياتها التاريخية و الجغرافية و الثقافية و طول الاحتلال و شدة المسلط على الجزائر شعبا و ترابا منذ 1830، حرّك النخب و الهيآت و المنظمات على اختلاف ثقافتها ودياناتها و فلسفاتها على التعاطي بصورة تعكس الحضور الإنساني لديها .

واللافت أن قيادة الثورة لم تُحمل قطّ العمل الإعلامي لإذاعة المجر ووظّفت تجربتها رغم قصر مدتها، والتي خدمت القضية الجزائرية، من حيث تسهيل مهمّة وفد الثورة الجزائرية، خلال الجولات التعريفية التي كان يتولاها موفدو و دبلوماسيو الثورة الجزائرية. وبغرض دفع الثورة و تعزيزها، حرص القادة والمسؤولون على رصد ومتابعة من يتعاطف أو يتضامن مع القضية الجزائرية، بصرف النظر عن حجم وشكل التضامن و تعميق التواصل معه تحفيزا و تشجيعا على المواصله بعزم و حزم، من خلال توفير المادة الإعلامية الكفيلة بتحسين الخدمة و تقوية الموقف السياسي و الإعلامي . كما عملت الثورة على تنويع البدائل الإعلامية ، سواء ما تعلق منها بالإعلام المسموع و المكتوب، يؤشر على عمق الرؤية المستوعبة للتحديات الكثيرة و المختلفة التي واجهت الثورة، وهو ما عرفه الميدان، من خلال تطوير الأداء الإعلامي الثوري وخاصة بعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، و الذي كان له دور رئيس في تعميق الالتفاف حول الحكومة المؤقتة اعترافا، تضامنا و تأييدا، نتيجة تفعيل النشاط الاعلامي و الدبلوماسي من خلال الندوات و المحاضرات، و الأسابيع الخاصة بالجزائر، وكذا الحوارات المختلفة لقادة و مسؤولي الثورة الجزائرية، مع مختلف الوسائط الإعلامية و وكالات الأنباء

ويبقى الأمل معقودا في إمكانية تعميق وتطوير البحث التاريخي في قضايا وجزئيات تاريخ الثورة الجزائرية، خاصة وأنّ الموضوع أhalنا على دول أوروبا الشرقية وموقفها من الثورة الجزائرية، ما يجعل عملية البحث في المادة الأرشيفية الإعلامية على اختلاف طبيعتها، مسألة غاية في الأهمية، لاستكمال النقص و توضيح ما غمض وإزالة اللبس عن قضايا كثيرة، من خلال تضافر الجهود البحثية وتوفير الإمكانيات المادية والمالية الكفيلة بتيسير مهمّة الباحثين.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

المصادر:

1. بلحسين، م. (2004). المراسلات بين الداخل والخارج 1955-1956. الجزائر: دار القصة.
2. الديب فتحي. جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، القاهرة: دار المستقبل العربي، 1984.
3. صدار، س. (2003). موجات الصدام اللاسلكي والإذاعة السرية خلال مدّة حرب التحرير. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب

المراجع (كتب و مقالات)

1. بوضياف، م. (1995). التحضير لأول نوفمبر 1954. مجلة أول نوفمبر، (عدد 154)، ص 26.
 2. بوطمين، ج.ل. (د.ت). اندلاع ثورة نوفمبر 1954. في الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون والمقاومة الوطنية والحركات السياسية حتى ليلة 1954، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين.
 3. بومالي، أ. (2010). أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962. الجزائر: دار المعرفة حليسي، الطاهر. (2001)
 4. الديب، ف. (1984). جمال عبد الناصر وثورة الجزائر. القاهرة: دار المستقبل العربي بلعيد رابح. (2001). هكذا خطفت جبهة التحرير الثورة من مصالي. الشروق اليومي، (عدد 147).
 5. الزبير، س. ا. (1986). الإعلام والتنمية في الوطن العربي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار.
 6. الصغير، م. (2009). البعد الإفريقي للقضية الجزائرية 1954-1962. الجزائر: دار السبيل.
 7. عباس محمد. الصحفي الشهيد محمد العيشاوي. منجز بيان فاتح نوفمبر. صياغة ورقنا
 8. قندل، ج. (2015). إشكالية تطور وتوسع الثورة الجزائرية 1954-1956. الجزائر: منشورات وزارة الثقافة.
 9. نور، ع. (2007). الطالب الجزائري والثورة. كراسات المجلس، (منشورات المجلس الإسلامي الأعلى)، عدد 8، ص 34-35.
- وسحبا. 2009، ص1 (الاطلاع بتاريخ 2020/07/27). الرابط:
<https://www.echoroukonline.com/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%>

الصحافة

1. الخبر عدد 26697 ل26 أبريل 2012.
2. الشروق اليومي في حوار ساخن مع الدكتور رابح بلعيد، هكذا خطفت جبهة التحرير الوطني الثورة من مصالي. جريدة الشروق الجزائرية، الحلقة الثالثة، (عدد 147).

باللغة الأجنبية:

Les sources

1. ABDEDAIM, C. (2009). *Abdelhafid Boussouf le révolutionnaire aux pas de velours*. Alger : Annep.

Les études (Livres et articles)

1. CSABA, M. (s.a). La révolution hongroise de 1956 et la guerre de Libération de l'Algérie. El Moudjahid à 16h50. <http://www.elmoudjahid.com/fr/actualites/68759>
2. ELSSENHANS, H. (2010). *La guerre d'Algérie 1954-1962 transition d'une France à une autre le passage de la IV république à*. Alger : éditions Edif
3. HABIL. J. et NAGY, L. (2006) L'émission en Langue arabe de la radio de Budapest (1954-1955) El Massadir, n°13.
4. STORA DAOUD, B. Z. (1995). *Ferhat Abbas une autre Algérie*. Alger : éditions Casbah.
5. ZAMOUM, R. (2005). *Si Salah mystère et vérités*. Alger : éditions Casbah.

La presse

1. Le Monde du 06 novembre 1954.
2. Le Monde du 21-22 novembre 1954.